

التعريب اللفظي وجماليات النظام الصوتي العربي

"المعربّات القرآنية أنموذجاً"

د. ممدوح محمد خسارة

سورية

1- جمالية الكلمة العربية

الجمال هو الحسن، وهو من مدركات حاسة البصر أصلاً، ولكن دلالة هذه الكلمة تطورت كنظيراتها من مدركات الحواس الأخرى، فكما أن الحلاوة والملاحة هي أصلاً من مدركات إحساس الذوق، وتطورت إلى مدركات البصر، كذلك تطورت دلالة الجمال من مدرك البصر في قولنا "منظر جميل وامرأة جميلة"، إلى مدرك إحساس السمع في قولنا (لحن جميل) وتجاوزت إدراك الحواس إلى إدراك العقل في قولنا (صبر جميل، وعرفان الجميل)، وعلى هذا فقد صار الجمال جمالات.

وبالنظر لتوسع دلالة كلمة (الجمال) وتمدها، بعد أن صارت من أكثر الكلمات المعاصرة تداولاً وشيوعاً، فقد صار أنسب ما تعرف به هو أنه (كل مبهج ومرغوب فيه)¹.

فلا غرابة — والحال هذه — أن يقال جمال اللغة، الذي يتشعب الحديث فيه إلى جمال التركيب والنظم، وجمال الكلمة المفردة موضوع بحثنا.

وإذا كان الذين يتحدثون عن جمال التركيب يعتمدون على جماليات النظم والأساليب، فإننا عندما نتحدث عن جمال الكلمة نعتمد على جماليات نظامنا الصوتي العربي، لأن الكلمة هي وحدة هذا النظام "فهي مجموعة من الوحدات الصوتية المؤلفة بطريقة معينة لكي ترمز إلى الأشياء الحسية أو الأفكار المجردة"².

قد يعترض علينا بأن الكلمة المفردة لا يمكن الحكم عليها بالجمال، لأنها متأثرة سلباً وإيجاباً بنسق التركيب الذي هي جزء منه، بل أنكر بعض العلماء القدماء وعلى رأسهم الجرجاني (471 هـ) أن يكون للكلمة المفردة جمال إلا في سياق النظم، فالكلمة المفردة عنده من حيث هي لفظة لا وزن لها ولا قيمة في فصاحة أو بيان³. وتابعه على ذلك أحد المحدثين⁴ الذي ينقل عبارة ابن منظور في اللسان "بأن الكلمة الواحدة لا تشجي ولا تحزن ولا تتملك قلب السامع".

أما ما نذهب إليه فهو أن الكلمة المفردة تستمد جمالياتها من ذاتها المفردة أولاً ثم يأتي التركيب أو النظم الذي قد يزيد جمالها أو ينقصه، فثمة جمال للكلمة المفردة أو اللفظة حتى ولو لم تدخل التركيب، ورائدنا في هذه المقولة ابن سنان الخفاجي (466 هـ) صاحب كتاب (سر الفصاحة) الذي يؤكد أن للكلمة المفردة جمالا ينبع من مجموعة شروط يحددها بدقة⁵ وتابعه على ذلك باحثون معاصرون أفاضل منهم د. منير سلطان الذي يتبنى آراء الخفاجي ويدافع عنها ولعل هذا ما كان يرمي إليه ميخائيل نعيمة في قوله: "إن لمفردات اللغة التي نصوغ منها منشوراتنا ومنظوماتنا صفات عجيبة وميزات غريبة، فلكل كلمة معنى أو روح، ولكل كلمة رنة، ولكل كلمة صبغة أو لون"⁶.

إننا نؤكد أن للكلمة المفردة جمالا بذاتها ولا حاجة لانتظار نظمها حتى نحكم على جماليتها ولنأخذ أمثلة من أزواج من الكلمات متحدة المعنى مختلفة الأصوات:

أيها أجمل: منبسط أم مسحطر
 حسناء أم مرودة
 ناعمة أم برخداة
 سراب أم خيتصور
 رهام أم شجدة

أبعد من ذلك، فثمة مفردات قاسية الدلالة، ولكنها من أشتى المفردات في الشعر والنثر لا شيء إلا لجمالها الصوتي أو جرسها الموسيقي على حد عبارة البلاغيين والنقاد، مثال ذلك كلمة (الصبا) وهي الريح الشرقية، وهي ريح باردة جدا شتاء وحارة جدا صيفا، وليس من الواقعية وحسن الدلالة في شيء أن يقال (سلام أرق من الصبا) فالصبا ليست رقيقة، بل هي أقصى ما يكون من الريح على الإنسان ومع ذلك فما أكثر تواردها في النظم والنثر! ومن بين أسماء مئآت النجوم في العربية لم يشع ألا نحو ثلاثة أسماء هي السهي وسهيل والثريا في حين لم يستعمل واحد منهم (الشجج) وهو اسم النجم عندهم، ولا تغيب الجمالية الصوتية عن أذن سامع العربية في سهيل والسهي وفي هذين الحرفين المهموسين، في حين لا يفيد الثقل والسر في تتابع الحرفين الشجريين متقاربي المخرج في (الشجج).

2- جمال الكلمة وفصاحتها

لا بد من الإشارة إلى العلاقة بين فصاحة الكلمة وجمالها، ذلك أن بعضهم يقرن الجمال بالفصاحة، وهي علاقة قائمة ولكنها ليست مطلقة، ذلك أن بين الجمال والفصاحة عموماً وخصوصاً كما يقول المناطقة، الجمال أعمّ من الفصاحة، والأخيرة متضمنة منه، بجمع بينهما (الحسن في اللفظ أو الصوت)، ويفرق بينهما أن فصاحة الكلمة مرتبطة بعصر الاحتجاج وبالسلامة اللغوية في حين أن جمال الكلمة يتأثر بعصر دون عصر، ولا يكتفي بالسلامة اللغوية التي هي شرط لازم ولكنه غير كاف، الفصاحة ذات صلة بالجمال حتماً إذ يجدها البلاغيون بأنها "خلو الكلمة من تنافر الحروف والغربة ومخالفة القياس"⁷ وعدم التنافر يعني الانسجام والتناسق، وهو يلتقي بهذا مع الجمال الذي من أظهر معانيه تناسق التكوين، ولكن الجمال لا يلتقي مع الفصاحة في اشتراط عدم الغربة أي عدم الإبهام في المعنى، فقد تكون الكلمة غريبة مبهمة الدلالة ولكنها جميلة، هل هناك كلمة أكثر إبهاماً من كلمة (ممن) التي نسمي لها. ونستجملها، مع أنها من أكثر الكلمات إبهاماً من حيث الدلالة فهي تعني: الطويل والقصير والقليل والكثير والهين واليسير والإقرار بالذل، والجحود والكفر للنعم والماء الظليل.

إننا نرى أن مردّ الجمال من كل ما هو جميل من المفردات العربية هو انسجامها مع ما أسميه بالنظام الصوتي العربي، فالكلمة تستمد جماليتها من جمالية ذلك النظام.

3- جمالية النظام الصوتي العربي

قلنا أن الكلمة العربية تستمد جمالياتها من جمالية النظام الصوتي العربي القائم على مجموعة من الأسس، مدارها على السهولة في النطق والخفة على السمع.

1. عدد أحرف الكلمة العربية

من أبرز عناصر الجمال في الكلمة العربية قلة عدد أحرفها، لأنها أسرع في النطق وأخف على السمع، فالكلمة العربية على ثلاثة أحرف أصلية أو أربعة أو خمسة، وتبلغ بالزيادة سبعة أحرف ما عدا ملحقاتها من التعريف أو أحرف النسبة أو التأنيث وقلة عدد الأحرف في الكلمة مجلبة للخفة والسهولة في النطق أو ما يسمى بالاقتصاد اللغوي بخلاف كثرة الأحرف التي هي مدعاة للثقل والصعوبة إن في النطق أو في السمع⁸.

وبسبب من هذا كانت الجذور الثلاثية في العربية نحو أربعة أصناف الجذور الرباعية والخماسية، ففي العربية (5035) جذرا ثلاثيا في مقابل (1368) جذرا رباعيا⁹. أما على مستوى لغة الاستعمال والنص الفني فتمثل الكلمات الثلاثية النسبة العظمى من مفردات النص، ففي قصيدة المتنبي —مثلا— التي مطلعها: "أرق على أرق ومثلي بأرق" نجد نحو اثنين وتسعين اسما منها نحو (46) اسما ثلاثيا، ونحو (35) اسما رباعيا، وأحد عشرة سما بين خماسي وسداسي، ولا يوجد أي اسم سباعي، لا أريد أن يفهم من كلامنا أن عدد أحرف الكلمة هو المقياس الأهم من مقياس جمالياتها، بل أن يفهم أن قلة عدد أحرف الكلمة العربية هو واحد من مقاييس جمالها وأسسها، وإلا فأين جمال كلمات من مثل: عيون وموحد، وسلسبيل، وهو ما أشار إليه

(ابن جني - 359 هـ) من "استكراه العرب ذوات الأحرف الخمسة لإفراط طولها فأوجبت الإقلال منها وقبض اللسان بها إلا فيما قل ونذر"¹⁰ ويذكر بعض الباحثين المحدثين بما ذهب إليه بعض النقاد القدامى من استقباحهم كلمة (سويداواتها) في شعر المتنبي، وكلمة (صوباواتها) في شعر أبي تمام.¹¹

2- ائتلاف أحرف الكلمة العربية

ائتلاف أحرف الكلمة العربية أهم خصائص بنيتها الصوتية وجمالياتها، وقد كان البحث في ائتلاف الحروف وتنافرها موضع دراسات للقدماء والمحدثين، بل قلما خلا فيه كتاب لغوي، ذلك أن "من خصائص اللسان العربي - على حد عبارة الفارابي في ديوان الأدب - أنه لم يلاق بين حرفين لا يأتلفان ولا يعذب النطق بهما، أو يشفع ذلك منهما في جرس الفخمة وحسن السمع كالعين مع الخاء، والقاف مع الكاف، والحرف المطبق مع غير المطبق مثل تاء الانتقال مع الصاد والضاد في أخوات لها"¹² وتلاحظ عبارة (لا يعذب النطق بهما أو يشفع ذلك منهما في جرس (النغمة وحسن السمع).

ولعل من أهم أسباب ائتلاف الحروف في الكلمة العربية تباعد مخارجها، فذلك أمهل للنطق وأيسر. وتصب هذه الخاصية أيضا في قانون الاقتصاد اللغوي، لأن "توفير الجهد اللغوي، لا يعني قلة أحرف الكلمة، بل يعني قبل ذلك خلوها من التنافر"¹³ الذي من أهم أسبابه تقارب مخارج الأحرف في جهاز النطق، كالهاء والعين الحلقيتين.

ومما يلحق بالتنافر الثقل، ولو كان خفيفا، فقد قال العرب (صبية) وكان قيامها (صبوة)¹⁴ وما ذلك لتنافر بين الباء والواو، لكنهم أحسّوا ثقلا فاستحسنوا الهرب إلى الياء تخفيفا. ومن الثقل التضعيف، لهذا أبدلوا

أحد أحرفي المضعف ياء من قولهم (تظنيت) وأصلها (تظننت) و(أملت) وأصلها (أملتت) ¹⁵.

وأهم دراسة حول تنافر الحروف وائتلافها دراسة للعالم اللغوي (ابراهيم بن محمد بن دينير - 635 هـ)، الذي وضع جدولاً تفصيلياً يغي عما سواه ¹⁶ فمثلاً لا تأتلف الشاء مع الذال والزاي والصاد والضاد والطاء والسين لا بتقدسم ولا تأخير ولا تأتلف الغين مع الجيم والحاء والعين بتقدسم ولا تأخير ولا تأتلف الجيم مع القاف والطاء والطاء والغين بتقدسم ولا تأخير ... الخ

ومن دلائل السهولة والخفة في الحرف كثرة دورانه في النصوص العربية والكلام العربي.

3- ائتلاف الحركات في الكلمة العربية

الحركة جزء من بنية الكلمة العربية، وهي ذات قيمتين تعبيرية وصوتية فالقيمة التعبيرية التفريق بين المعاني نحو (عَبَدَ وَعَبَّدَ) والقيمة الصوتية تسهيل النطق بالأحرف الساكنة، إذ يتعذر نطق حرفين ساكنين متصلين إلا أن هذه الحركات التي وجدت لتسهيل النطق وخفته قد تبدو مدعاة ثقل إذا تنافرت، وحالات التنافر بينها هي:

أ- الضمة قبل الواو في الاسم : فليس في العربية اسم آخره واو قبلها ضمة فما ورد منها في كلام العرب فهو دخيل نحو (ملكو - مندو).

ب- الحركتان المتضادتان، ونعني بهما الكسرة والضمة، إذ لم يرد الانتقال من الكسر إلى الضم في العربية لثقله لذا انعدم بناء (فعل) في الثلاثي.

ج- الواو الساكنة المكسور ما قبلها، والياء الساكنة المضموم ما قبلها ¹⁷ وقريب من هذا الثقل تحريك الواو والياء وقبلهما الفتحة إذ هو مكروه إلا

عند الضرورة، لذا جمعوا (سري) على أ سرياء و(غني)، وكان القياس (سرداء. وغنياء)، لأنهم يكرهون تحريك الياء والواو وقبلها الفتحة، إلا أن يخافوا التباسا كما في الأفعال نحو (رميا وغزوا..). فييقونها.

د- اجتماع أربعة متحركات: لأن في ذلك استثقالا على اللسان والنطق. قال سيبويه: (ألا ترى أنه ليس في كلامهم اسم على أربعة أحرف متحرك كله)¹⁸ فإذا وجد ذلك فهو ثقیل مستكره نحو (علبط) للقطيع و(عرس) لبنات وحول هذا يقول بن خالويه: (لا يجمع أربع متحركات في اسم واحد استثقالا، حتى يحجز بين المتحركات بالسكون)¹⁹.

هـ - التقاء الساكنين في الكلمة: إلا أن يكون الساكن أول حرفي تصنيف وقبلهما حرف مد، نحو (شابة ودوية)، لأن حرف المد شبيه بالحركة.

و - البدء بساكن في الكلمة: فليس في العربية كلمة مبدوءة به.

م - انتهاء الكلمة المعربة بحرف صائت غير قابل لتحمل الحركة الإعرابية، لأن الإعراب من أبرز خصائص العربية²⁰.

والواقع أن معظم هذه القواعد الصوتية هي مما أشار إليه ابن سنان الخفاجي ومتابعوه من المحدثين، وإن كنا لا نوافقهم على الشروط الثمانية كلها التي اشتراطها لجمال الكلمة العربية، كأن تكون الكلمة مصفرة، وألا تكون وحشية غريبة، وألا تكون قد عبر بها عن أمر يكره²¹.

كما أثبت هذه القواعد الصوتية دارسو البيان القرآني، الذين أكدوا أن النظم القرآني قد (تجنب الأصوات المتماثلة أو المتقاربة، وتكرار حروف الحلق، والحركات الثقيلة)²².

4- التزام الحروف أو الأصوات العربية

ونعني بذلك التزام الأبجدية العربية أو حروف الهجاء العربي إن كلمة تضم خليطاً من أصوات بعضها عربي وآخر أجنبي لن تكون جميلة، لأنها سوف تكون نشازاً على الأذن العربية وناشزة على جهاز النطق لدى العربي.

إن من يدخلون أصواتاً مثل (V) أو (تش: V) أو (eu) إنما يهجنون الكلمة العربية واللسان العربي بما لا ينسجم ومدرجه الصوتي. وأكثر ما يقع هذا التهجين في المفردات المعربة عن لغات من فصائل لغوية مغايرة.

لقد كان العرب في مزاوله التعريب حريصين كل الحرص على الأبجدية العربية، ولذا "جعلوا إبدال الحروف غير العربية لازماً، وهم يصدرون في هذا الحكم عن بعد نظر وتفطن، وحرص على عدم إفساد اللغة وأساسها بحروف أعجمية"²³.

وكان اللغويون القدماء قد أشاروا إلى أن العرب يبدلون بالأحرف الأعجمية أقرب الأحرف العربية إليها، فالتبدل عندهم مطرد من كل حرف ليس من حروفهم، يبدلون منه ما قرب منه من حروف العربية"، على حد تعبير سيبويه²⁴.

إن مسألة إدخال أحرف أجنبية إلى لغتنا خلق إشكالية حقيقية فانقسم اللغويون والمعربون بين متساهل يهون من أثر إدخال هذه الأصوات إلى الأبجدية العربية، وبين حازم متبصر بعواقب الأمور — والباحث منهم — يرى أن أهم خصائص أي لغة هي أصواتها وحروفها، وأنها إذا فقدت هذه الخاصية فسوف يؤثر ذلك على طبيعة اللغة وأحكامها الصرفية

وقواعدها المعجمية، وأنه يحمل مخاطر قاتلة على العربية²⁵، ومع أن بعض المجامع اللغوية قد أقرت إدخال هذه الأحرف، إلا أن بعضها الآخر عارضها بشدة، كما تراجع عنها أكثرية اللغويين.

4- التعريب وجمالية الكلمة العربية

قد يقال: ما الفائدة من ذكر أسس وشروط هي من صميم قواعد الصرف العربي والبلاغة العربية، فمعظم الكلم العربي تراعى فيه - طبعاً وسليقة - هذه الأسس، فالعربية لم تجمع بين حروف متنافرة في كلامها، ولا بين حركات متنافرة لتلك الحروف، ولم تبدأ بساكن، ولم تجمع بين ساكنين، فما كلامك إلا كحامل التمر على هجر أو حامل الخس إلى حمص!

أقول: إن الذي يسوغ هذا البحث وأمثاله أن ظاهرة التعريب اللفظي أو الصوتي من اللغات الأجنبية تفشوا فشوا سريعاً ومقلقاً، فبدلاً من أن يولد العرب كلمات عربية جديدة لما يستجد من المفاهيم والأدوات والآلات سواء أكانت من ألفاظ الحضارة أم المصطلحات العلمية، نجد أنهم يلجؤون إلى التعريب اللفظي لتلك المسميات، أي نقل الكلمة الأجنبية إلى العربية نقلاً صوتياً، وذلك استسهالاً لوضع المسميات وهروباً من توليد أسماء لها من صميم لغتنا، فدخلت لغتنا كلمات لا تتفق وجمالية الكلمة العربية مثل /موبايل - ستالايت - سلايد - فاكس..

ولابد من الإشارة إلى أن التعريب اللفظي أو الصوتي كان دائماً وسيلة من وسائل التنمية اللغوية وزيادة الثروة اللفظية في كل اللغات، ومنها لغتنا العربية، فليس من لغة تستغني عن غيرها تماماً، فاللغات تتفاعل فيما بينها أخذاً وعطاءً،

وهذه الظاهرة من مستلزمات الاحتكاك الحضاري ونتائجه، فمفردات العربية ماثورة في العديد من مستلزمات الاحتكاك الحضاري ونتائجه، فمفردات العربية ماثورة في العديد من لغات العالم كالفارسية والتركية والانجليزية والفرنسية والاسبانية، كما أن لغتنا العربية فيها الكثير من المفردات الأجنبية أصلاً، والتي دخلت العربية وخضعت لقوانينها الصوتية، فعربت وصارت جزءاً لا يتجزأ منها، دخلت شعرها ونثرها ومعجماتها، والأهم من ذلك أنها وردت في أعظم نص عقائدي لغوي أدبي وهو القرآن الكريم، وورودها فيه لم يمنع أبداً من أن يوصف بأنه (بلسان عربي مبين)، وأن الله أنزله قرآناً عربياً)، وهذا دليل على أن اللسان العربي لا يعني الكلمات العربية الأصلية ذات الجذور العربية فحسب، بل ويعني ما دخل هذه العربية من الكلمات المعربة، التي هي أعجمية الماضي عربية الحاضر — فاللسان العربي يضم العربي والمعرب من الكلم.

وجود المعربات في القرآن الكريم أعطانا درساً لغوياً هاماً مفاده أن الاقتراض اللغوي والتعريب اللفظي لا يضر اللسان العربي حتماً، بل هو عون لهذا اللسان على أداء وظيفته التعبيرية والتواصلية، ولكن بشرط التزام المنهج الصحيح في تقريب المفردات الأجنبية، وما هذا المنهج الصحيح إلا منهج القرآن الكريم في التعريب، وما منهج القرآن الكريم في التعريب إلا التزام أسس الجمالية اللغوية التي هي مزيج متجانس من أركان الفصاحة العربية وقواعد الصرف العربي. إنَّ جمالية الكلمة العربية تنبع من فصاحتها المستمدة من مفاهيم البلاغة العربية، ومن خفتها وسهولة نطقها وعذوبة سمعها المستمدة من قواعد الصرف العربي.

5- المعربات القرآنية أنموذجا

"المعرب هو كل كلمة دخلت اللغة العربية قديما أو حديثا على أن تكون خاضعة لمقاييس العربية وأبنيتها وحروفها"²⁶. "والتعريب هو أن تتفوه العرب بالاسم الأعجمي على منهاجها"²⁷.

أثار وجود بعض الكلمات المعربة في القرآن الكريم جدلا كبيرا بين الفقهاء القائلين بوجود المعرب في القرآن الكريم، وبين اللغوين المنكرين لوجود المعرب فيه، وينسب إلى أبي منصور الجواليقي (561هـ) صاحب كتاب (المعرب على حروف المعجم)، فذهب توفيقى يقول فيه: "والصواب عندي مذهب فيه تصديق القولين جميعا، ذلك أن هذه الحروف أصولها أعجمية كما قال الفقهاء، إلا أنها سقطت إلى العرب فأعربت بالأسستها وحولتها من ألفاظ العجم إلى ألفاظها، فصارت عربية، ثم نزل القرآن الكريم وقد اختلطت هذه الأحرف بكلام العرب، فمن قال أنها عربية فهو صادق، ومن قال أعجمية، فهو صادق"²⁸.

ومن المعربات التي وردت في القرآن الكريم: (درهم، دينار، فردوس، كافور، سجيل، سفر، حوارى، استبرق، صراط، مشكاة، محراب، قنطار، سندس...). وقد اختلف العلماء القدماء في تأصيل هذه الكلمات وردها إلى لغاتها الأصلية، فما نسبته بعضهم إلى الروسية نسبته آخر إلى الفارسية، وما نسبته بعضهم إلى السريانية نسبته آخر إلى الحبشية وهكذا²⁹.

لا أهمية في بحثنا لمعرفة أصل الكلمة المعربة، ومن أي لغة هي، بقدر ما يهمنا معرفة التغيرات التي طرأت على لفظها وأصواتها لمعرفة المنهج القرآني في تقريب الكلمات الأعجمية، ولنأخذ نماذج من هذه

المعربات ونرصد التغيرات التي أدخلت عليها لإخضاعها لما سميناه النظام الصوتي العربي.

أ- دِرْهَم: أصلها في اليونانية - كما يذهب بعضهم (دراخما) وعربت إلى دِرْهَم ودِرْهَم، فماذا أدخل عليها من تغيير؟

1- تجنب التقاء الساكنين في حرفي الألف والحاء.

2- حذف بعض الأحرف لتصبح الكلمة رباعية بدلا من سداسية.

3- إبدال الحاء هاء.

4- صوغها على إيقاع عربي هو (فعلل) نحو هجرع وهو الطويل، أو (فعلل) نحو (حفر) وهو نبات.

5- حذف الألف من آخر الكلمة ليصبح الحرف الأخير صامتا يقبل الحركة الإعرابية التي هي من خصائص العربية.

أما لماذا أبدلوا الحاء هاء، مع أن الحاء حرف عربي، وكان يمكن إبقاؤه، فلأن الهاء أيسر على النطق، إذ نسبة دورانها في الكلام العربي هو 7.57 %، في حين نسبة دوران الحاء هي 27 %.

وكثرة دوران الحرف في الكلام دليل خفته على اللسان، والخفة من أركان الجمال اللغوي.

ب- كلمة (فردوس): اختلف في أصلها بين رومية ونبطية وعبرية وسريانية وقال (الكرملي) هي من الإغريقية، وأن أصلها (باراديس) بالباء المهموسة، عربت إلى الجمع ثم أفردت إلى (فردوس)³⁰ فماذا أجري عليها من تعديل؟

1- إبدال الفاء العربية بالباء الفائية المهموسة لأن الفاء أقرب الأحرف العربية إلى ذلك الحرف الذي ليس من لغة العرب.

2- حذف بعض حروفها حتى غدت كلمة خماسية الأحرف بدل الثمانية، تحذفت الألفات الثلاثة.

3- إبدال الراء بالياء طلباً للخفة لأن الواو أكثر دوراناً في نسج الكلام العربي من الياء، بدليل أن الجذر (دمس) الذي تعاقب فيه السين/ الياء ليس من الجذور العربية، في حين أن الجذر (دوس) الذي تعاقب فيه السين الواو موجود ويحوي بضع عشرة كلمة³¹.

ج- كلمة (سُفَر): بمعنى كتاب رجح تقريبها من الآرامية، كما رجح أن لفظها في الأصل (سفرو)، فماذا أجرى عليها من تعديل؟

1- حذف الواو من آخر الكلمة، لأنه ليس في العربية اسم منه بواو قبله خمسة، ولأن حرف الراء الذي وقفت عليه الكلمة هو من الحروف الصامتة التي تتحمل الحركة الإعرابية.

2- صوغ الكلمة على إيقاع عربي هو (فعل)، ونظائره في العربية كثيرة نحو: (عَلِمَ وَحَلِمَ)

د- كلمة (سجیل): وأصلها في الفارسية (سفك) بالكاف الفارسية المجهورة كالجيم القاهرية، ومعناها (حجر وطین).

فكيف أخضعت للنظام الصوتي العربي؟

1- أدبجت الكلمتان في كلمة واحدة واختصر حرف من أحرفها.

2- أبدل بالحرف الأعجمي وهو (الكاف) الفارسية المجهورة وبأقرب الأحرف العربية إليها وهو (الجيم)

3- صيغت على إيقاع صوتي عربي هو (فعل)، ونظائره في العربية كثيرة نحو: صديق وزمیت.

هـ- كلمة (مَشْكَاة): وهي كلمة حبشية الأصل، ولفظها في لغتها (Mascot) ومعناها الكوة، ويلحظ كيف أبدل بالسين شيئا وبالواو

المفحمة ألفاء، فجاءت الكلمة على إيقاع اسم الآلة في العربية مثل (مرآة ومبرة)³².

وما دخول هذه الكلمات المعربة وأمثالها نحو (محراب، كافور، استبرق وسرادق، صراط، الزخرفة) في اللغة العربية وتماھيها في نسيج الكلمة العربية، حتى ليخال لكثير من دراسي العربية أن هذه الكلمات عربية الأصل والجذر وليست بمعربة، إلا لخضوعها للنظام الصوتي الذي لم يدخلها في إطار العربية، فحسب، بل في إطار ما هو جميل من كلمها الخالد³³.

وبعد فإن هذه التغيرات التي أدخلها العرب والقرآن الكريم على الكلمات الأعجمية عند تعريبها إنما جاءت تجسيدا لإبداعيا لمنهج لغوي صرفي جمالي هو ما أسميناه (بالنظام الصوتي اللغوي العربي) الذي يقعد للصحة اللغوية وللجمال اللغوي في وقت واحد، وتتفاضل الكلمات العربية في جماليتها بمقدار توفر عناصر ذلك النظام في بنيتها وهذا ما علينا أن نعمل على هديه عند تقريب الألفاظ المعاصرة ونقلها إلى لغتنا.

خلاصة البحث

- 1- للكلمة العربية المفردة جمال لغوي مستقل عن النظم الذي قد يزيد من جمالياتها أو ينقصها ولكنه لا يفقدها تلك الجمالية
- 2- قدمت المعربات القرآنية منهاجاً واضحاً لتقريب الكلمات الأعجمية ودمجها بالعربية، وعلينا الاهتداء والاقتداء به عند تقريب الكلمات الأجنبية المعاصرة.
- 3- من أهم معايير جمالية الكلمة العربية خضوعها للنظام الصوتي العربي الذي استنبطت أحكامه من المعربات القرآنية ومعربات عصر الفصاحة والاحتجاج.
- 4- علينا تطوير مباحث مقررات البلاغة العربية وطرق تدريسها بما يتلاءم وحاجاتنا اللغوية المعاصرة ومن أهمها التقريب اللفظي.

الهوامش

- 1- ابن منظور- "لسان العرب": جمل، المعجم الوسيط: حسن.
- 2- د. منير سلطان- "بلاغة الكلمة والجملة والجمل"، ط2: 15
- 3- عبد القاهر الجرجاني- "دلائل الإعجاز"، 42 - 232:
- 4- د. علي نجيب إبراهيم- "جماليات اللفظة بين السياق ونظرية النظم" : 51.
- 5- ابن سنان الخفاجي- "سر الفصاحة" : 54 وما بعدها. وينظر: د. منير سلطان- "بلاغة الكلمة والجملة والجمل" : 21-29
- 6- ميخائيل نعيمة- "الغريال" : 71 (طبعة دار صادر).
- 7- القزويني- "التلخيص في علوم البلاغة" : 24 (طبعة 1932).
- 8- الفيروز أبادي- "القاموس المحيط معاً".
- 9- ندوة تونس المعجمية- "المعجم العربي المختص" 172 - 205.
- 10- ابن جني- "الخصائص" 1: 61-62.
- 11- د. منير سلطان- "بلاغة الكلمة والجملة والجمل" : 21-29. وينظر د. حسين جمعة. "في جمالية الكلمة العربية" : 35-36.
- 12- الفارابي- "ديوان الأدب" 1: 72.
- 13- د. مسعود بوبو- "أثر الدخيل على العربية في عصر الاحتجاج" : 130.
- 14- ابن جني- "الخصائص" 1: 137.
- 15- المصدر السابق: 2: 232
- 16- د. حسان طيان: "تنافر الحروف ودورها في نسج الكلمة العربية" : 102.
- 17- الفارابي- "ديوان الأدب" : 72.
- 18- سيبويه- "الكتاب" 4: 192.
- 19- ابن خلوويه- "ليس في كلام العرب" : 28

- 20- لمزيد من التفصيل، ينظر: د. ممدوح خسارة- "منهجية تعريب الألفاظ في القدم والحديث" - مؤسسة الرسالة والشركة المتحدة للتوزيع.
- 21- ابن سنان الخفاجي ، "سر الفصاحة" : 54 وما بعدها.
- 22- د. أحمد أبو زيد- التناسب البياني في القرآن: 301-304.
- 23- د. مسعود بوبو- "أثر الدخيل على العربية في عصر الاحتجاج" : 81، 146.
- 24- سيبويه- "الكتاب" 4: 305-306.
- 25- لمزيد من التفصيل، ينظر: د. ممدوح خسارة- "منهجية تعريب الألفاظ في القدم والحديث" : 94.
- 26- د. أحمد مطلوب، "حركة التعريب في العراق" : 26.
- 27- الجوهري- "الصحاح" : عرب.
- 28- الشهاب الخفاجي- "شفاء القليل في ماضي كلام العرب من الدخيل" : 24 وينظر: السيوطي- المزهري 1: 269.
- 29- السيوطي: "المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب" : 120.
- 30- السيوطي- "المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب" : 120 (حاشية المحقق د. التهامي الهاشمي).
- 31- ابن منظور- "لسان العرب"- دوس.
- 32- السيوطي- "المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب" : 72.
- 33- المصدر السابق: 96.